أ ب ب

العـقـوبـة

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنـزيل : ﴿ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ﴾ [التحريم:٦].

نحن في الخطبة التاسعة من سلسلة الأسرة والتربية، ومرةً أخرى أقولها: نحن اليوم أحوج ما نكون إلى أُسر تربّي, إضافة على أنها أُسر تغذّي, نريد أباً مربياً، ونحتاج إلى أم مربية؛ لأن سهامَ ورماحَ ومدافعَ أعداءِ المسلمين تتوجه إلى أجساد المسلمين وإلى أموالهم، وإلى اقتصادهم، وإلى مياههم، ولكنها الآن تحاول أن تغزو التربية الإسلامية لإنشاء نشئٍ جديد, لإنشاء أجيال أخرى ليست لها أيّـةُ صلة مع الإسلام، ولا مع القرآن، ولا مع سيدنا محمد ﷺ ، لذلك نريد منك -أيها الأب- أن تبني أسرة مربية, نريد منك -أيتها الأم- أن تمارسي دور التربية

داخل البيت، وإنه لن ينفع ولدَكِ أحدٌ مثل ما تنفعينه أنتِ في تربيتك، وفي تعليمك.

ولقد تحدثنا عن أهمية الأسرة، وعن أهمية التربية، وعن اختيار الزوج، واختيار الزوجة، وعن الدعاء للأولاد، وعن النفقة الحلال، وعن العدل بين الأبناء، وأثر كل ذلك في التربية.

وكانت خطبة الأسبوع الماضي عن المكافأة وأثرها في التربية.

وعنوان خطبة اليوم**: التأديب بالعقوبة وأثره في التربية.**

المكافأة جناح، والعقوبة جناح آخر، ولن يطير طائر إلا بجناحين، ولن تستقيم التربية إلاّ بهاتين الوسيلتين، وحديثنا اليوم عن: التأديب بالعقوبة وأثره في التربية.

- يقول الله تعالى: ﴿ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم ﴾ [فصلت:٤٦].
- وقال جل من قائل: ﴿ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ﴾ [النجم:٣١].

• وقال ربنا: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾ [ص:٢٨].

▪ قال رسول الله ﷺ : «لأن يؤدّبَ الأبُ ابنَه خيرٌ له من أن يتصدق بصاع» والحديث عند الترمذي[1].

▪ قال الحكماء: (من أدّبَ ولدَه صغيراً سُرَّ به كبيراً)

▪ وقال ابن عباس: (مَن لم يجلسْ في الصغر حيثُ يَكْره لم يجلس في الكِبَرِ حيثُ يُحِبّ)

وقال صالح عبد القدوس :

إن الغصونَ إذا قوَّمتَها اعتدلَتْ ولا يلينُ إذا قوَّمتَهُ الخَشَبُ

وقال غيره :

مَـن لم يـؤدِّبهُ أبـوهُ وأمُّـهُ تؤدّبُهُ روعاتُ الرَّدْى وزلازِلُهْ

أيها الإخوة الكرام: تقوم التربية الناجحة على التعزيز الإيجابي، والتعزيز السلبي، على مكافأة المحسن ومعاقبة المسيء، من أجل هذا وعد الله

---

[1](?) أخرجه الترمذي (2078) .

تعالى عباده المؤمنين الجنة، وأوعد عباده الكافرين النار وليس عدلاً أبداً أن يتساوى العاصي مع الطائع، والمنحرفُ مع المستقيم! ولئن كُنا تكلَّمنا في الأسبوع الماضي عن المكافأة، فنحن اليوم نتكلم عن العقوبة، عن التعزيز السلبي، فإن للتأديب بالعقوبة ثلاثة أهدافٍ وثلاثة مبادئٍ وثلاثة أنواع هي أفكار هذه الخطبة.

حتى تعرف لماذا تعاقب ولدك ؟ هناك ثلاثة أهداف ستحصل عليها وثلاثة مبادئ، وثلاثة أنواع للتأديب بالعقوبة، أما

- **الأهداف التربوية للعقوبة هي** :

أولاً: الردع والتخويف: لأن المرء لا يسوقه إلا حُبٌّ أو خوف, والمرء لا يسوقه إلى جهةٍ معينةٍ إلارغبةٌ في مَغْنَم، أو رهبةٌ مِن مَغْرم، دافعٌ إلى ثواب, أو خوف من عقاب، طمعٌ في المكافأة, أو خشيةٌ من تأنيب، وعقابُ الردع والتخويف أولُ هدفٍ للتأديب بالعقوبة.

ثانياً: الإصلاح والتهذيب: فالعقوبة شيء، والتعذيب شيء آخر, أنت تعاقب الولد لإصلاحه وتهذيبه، ولستَ معذباً له.

ثالثاً: تحقيق الشعور بالعدالة بين الأبناء: فعندما تكافئ من أولادك المحسنَ، وتعاقبُ المسيءَ يعلم المحسنون أنك عادل بينهم، أما إذا تركتَ المسيء من أولادك يسيء كيف يشاء، فأنت ظالم تظلم المحسنين، وتدعوهم إلى الإساءة، هذه هي الأهداف الثلاثة للتأديب بالعقوبة.

❖ **المبادئ التربوية للعقوبة هي:**

أولاً: الرحمة: أنت تعاقب ولدك لأنك رحيم, فلو أنك تركتَ ولدك يسيء ولم تؤنّبه ولم تعاقبه ولم تحاسبه فأنت ظالم تدعوه إلى

الاستمرار في الخطأ، لكنك -رحمةً به وشفقةً عليه- تعاقبه صغيراً حتى لا ينحرفَ كبيراً

فقسا ليزدجروا, ومن فليقسُ أحياناً على من

أول مبدأٍ من مبادئ العقوبة: الرحمة.

ثانياً: التدرج: فلا يُلجأ إلى التأديب بالعقوبة إلا بعد التعليم، والتنبيه، والإنذار، والترغيب والترهيب،

ثم بعدها تلجأ إلى التأديب بالعقوبة, فالعقاب ليس مقصوداً لذاته، بل هو آخر الوسائل إذا استعصت الحلول.

ثالثاً: العفو: المبدأ الأول: الرحمة، والثاني: التدرج، والثالث: العفو، وذلك إذا حققت بدايةُ العقاب وأوائله الهدفَ التربوي المطلوب، فإن المربي يعفو عندها عن ولده.

هذه هي مبادئ التأديب بالعقوبة، وأهداف التأديب بالعقوبة.

❖ **أنواع التأديب بالعقوبة:**

هي ثلاثة أيضاً هناك

- عقوبة بالنظر.- وعقوبة بالكلام.- وعقوبة بالأفعال.

النظر والكلام والأفعال.

تكفي اللبيبَ إشارةٌ وسواه يندبُ بالصُّراخِ

وسواهُما بالزجر ليس أما العصا فَلِرَابِعِ

هناك عقوبة بالنظر, وعقوبة بالكلام, وعقوبة بالفعال

ولعل قائلاً يقول: إن التربية الغربية الحديثة تمنع التأديب بالعقوبة كالضرب ونحوه.

فأقول: إن التربية التي هي أحدث من هذه الحديثة تدعو اليوم إلى العقوبة، وتقول التربية: لا تَقُوَّمَ بغير ترهيب، ولا تَقُوَّمَ بغير عقاب، وإنَّ زيادةَ أعداد الجرائم في بلاد الغرب، وارتفاع أعداد عصابات السرقة والقتل، والاغتصاب والمخدرات، بين الشباب والشابات، وإنَّ تفاقمَ مشاكل تحصيل الأولاد في مدارسهم وجامعاتهم جعل المربين الغربيـين يقولون (أدى التطور أخيراً إلى اعتبار العقوبة وسيلةً تربويةً رادعةً ومُصِلحَة)، فالأب الذي لا يُؤدّب أولاده بالعقاب يسيء إليهم، والأم التي لا تؤدب أولادها بالعقاب تسيء إليهم.

التأديب بالنظر: كأن تنظر إلى ولدك نظرة عتابٍ إذا هو أخطأ، أو نظرة غضب، أو أن تُعرِضَ بوجهك عنه فلا تنظر إليه، هذه هي التربية بالنظر، إن استطعت أن تربي أولادك بعيونك فأنت أبٌ في أعلى درجات التربية والتأهيل التربوي.

ولقد كان سيدنا محمد ﷺ يربي أصحابه بعيونه، فها هو ﷺ عندما عاد من غزوة تبوك كان هناك بعضُ

الصحابة قد تخلفوا عن هذه الغزوة، واحدٌ من هؤلاء اسمهُ كعب بن مالك، يقول كعب: فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ذهبت لأسلم عليه -وكعب مخطئ فقد ترك الجيش الإسلامي، وبقي في داره- قال [1]-: فلما سلمتُ عليه تبسَّم لي تبسُّم المُغْضِب، بسمة لكن فيها شيء يخترق القلب، -كأنه يقول: لماذا فعلت هذا يا كعب؟ بالعين وبالابتسامة قرأ كعبٌ ما أراده رسولُ الله ﷺ -

هذا هو وحشيٌّ بن حرب عندما أسلم يقول له النبيُّ ﷺ: «نت وحشيّ؟»، قال نعم، قال: «أنت قتلت حمزة؟»، قال: نعم, قال: «فهل تستطيع أن تغيّب وجهَكَ عنّي»[2] إنّها تربية بالنظر.

في حديث الثلاثة الذين خُلّفوا، قال أحد الرواة: كان رسول الله ﷺ يصرف نظره عنهم، يعني: لا ينظر إليهم، إنها تربية بالنظر، وحسبُك من ابنك أو من ابنتك إن صار يفهم عليك من عينيك.

والنوع الآخر: التأديب بالكلام، والمراد به لومك ابنك، ولومُك ابنتَك إذا هي أخطأت, وعتابُك وزجْرُك،

---

[1](1) أخرجه البخاري: (4156)، ومسلم: (2769)، والنسائي: (20/54)، وأحمد: (3/457)، من حديث كعب بن مالك d.

[2](?) أخرجه البخاري: (3844)، وأحمد: (3/501) من حديث وحشي بن حرب d.

وليس المراد عند المربين: السبّ والشتم والتقبيح، فهذا هو ﷺ يزجر الحسينَ عندما تناول تمرةً من تمر الصدقة، الحسين كان طفلاً صغيراً دخل إلى مكانٍ فيه تمرُ الصدقة، وأخذ تمرة ووضعها في فمه, وهو ولد صغير، ولعل البعض يقول: دَعْه يأكلْها -يا أخي- هل ستخرب الدنيا إذا أكل التمرة؟ لكنَّ سيدنا محمد ﷺ أراد أن يؤدّبه بالكلام، فمثل هذا الولد لا يفهم بالنظرات، فقال له: «كخ كخ»[1].

يقول الإمام النووي: هي كلمة زجر للصبي عن المستقذرَات.

لا بد لولدك الصغير الذي لا يفهم الكلام الآن أن تؤدبه بكلامك، ولا تقول: إنه صغير, دَعْه, فلعله يقسو معك فلا يستقيم ولا يتأدب.

وها هو صلوات الله وسلامه عليه أرسل جاريةً صغيرةً لبعض حاجته، فأطالت المكث خارج البيت، فخرج يبحث عنها، فشاهدها تلعب مع الأولاد، فأراد أن يؤدبها بالعقوبة بالكلام، فقال لها: وقد أخرج

---

[1](?) أخرجه البخاري: (1420)، ومسلم: (1069)، وأحمد: (2/409)، من حديث أبي هريرة d.

سواكاً قال لها: «لولا خشية القصاص يوم القيامة لأوجعتك ضرباً» [1]، إنه تأديب بالعقوبة بالكلام, ولا بد لك -أيها الأب- أن تستخدم لوماً أو زجراً أو عتاباً لولدك، أو ابنتك إذا هو أخطأ, أو هي أخطأت.

أما آخر الأنواع، فهو: التأديب بالأفعال، كالهَجْر والضرب، وإليكم بعض الأصول التربوية في الضرب، وأرجو أن ننتبه إلى هذا الأمر :

- **أولاً :أنذِرْ أولادَك السوط:** لأن الكثير من الأولاد يرهبُهم ويؤدبُهم رؤيةُ السوط أو الحديثُ عنه, جاء في بعض الآثار «علّقوا السوط حيث يراه أهل البيت» [2] هناك كثير من الأولاد ينـزجرون إذا علموا أن هناك عقوبة جسدية ستلحق بهم.
- **ثانياً: الصغير الذي لا يعقل لا يُضرَب:** لأنه لا يفهم معنى الضرب وفائدَتَه.

---

[1](?) المعجم الكبير للطبراني (19331) .

[2](?) الطبراني عن ابن عباس ، كنز العمال (44948).

• **ثالثاً: ضرباتُ التأديب ثلاثة ومهما بلغت لا تتجاوز العشرة:** قال النبي ﷺ: «لا عقوبة فوق عشرة أسواط إلا أن يكون في حدٍّ من حدود الله»[3]

• **رابعاً لا يجوز ضرب الأعضاء الحساسة :**كالوجه والرأس والصدر والبطن والأعضاء التناسلية, قال رسول الله ﷺ: «إذا ضرب أحدُكُم فليتّقِ الوجه»,[2] فلا يجوز شرعاً ضربُ الوجه ولا الرأس، ولا الصدر ولا البطن، ولا الأعضاء التناسلية.

• **خامساً لا ضَرْبَ مع الغَضَب:** إذا كنت غضبانَ إياك أن تضرب ولدك، فقد نهى النبي ﷺ أن يقضي القاضيَ وهو غضبان[3].

ضابطٌ ذو رتبة عالية، جاء إلى أولاده أو إلى بيته بطقم من الكنبايات المنجَّد تنجيداً حديثاً، وهو

---

³(?) أخرجه البخاري:6458، ومسلم:1708، وأبو داود:4491، والترمذي: 1463، وابن ماجه: 2602، وأحمد: (3/466)، من حديث أبي بردة d.

²(?) أخرجه مسلم: 2612، وأبو داود:4493، وأحمد: (2/519)، من حديث أبي هريرة d.

³(?) أخرجه البخاري:6739، ومسلم:1717، وأبو داود:3589، والترمذي: 13343، وابن ماجه: 2602،وأحمد: (3/466)، من حديث أبي بردة d وابن ماجة: 2316، وأحمد: (5/36)، من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث d.

مسرورٌ به، وفي اليوم الثاني خرج من البيت وكانت الأم مشغولة، وعنده ولد صغير، وكان مع الولد مِشْرَط, فدخل هذا الولد إلى تلك الغرفة، وأمَرَّ بالمشرط على إحدى هذه الكنبايات فهمدت فأعجبته، فمضى بالمشرط على كل طقم الكنبايات، ولا أحد يراه، وعندما جاء الأب مساءً وشاهد هذا المنظر غضب وأخذه الغضبُ الشديد، وقال: من فعل هذا؟، قالوا: ولدك فلان، فجاء بالصغير وجاء بعصاه وأمسك بيدَي الصغير وضربه بالعصا على ظهر كفيه !!، لكنه كان مُغضَباً ولا يعيْ شِدَّةَ الضربة، وعدد الضربات، صار الولد يصرخ ويبكي، بعد وقت وبعد أن هدأ مِن غَضَبِه تَرَكَه، ومضى الولد إلى سريره في غرفته ونام، وفي الصباح جاءت الأم، ونظرت إلى الولد فشاهدت اليدين منتفختين ولونهما أزرق! فذهبا به إلى المشفى, قال الطبيب في المشفى: لقد حصل تموُّثٌ في يَدَي الولد ويحتاج إلى بَتْر للكفين!! وبالفعل بُترتْ الكفان من جرّاء الضرب في أثناء الغضب، وبعد أن خرج الولد من المشفى، قال لأبيه: بابا كيف سأكتب بعد الآن !!..، إذاً لا ضرب مع الغضب.

- **سادساً: ارفع يدك عن الضرب إذا ذكر ابنُك اللهَ تعالى واستجار به:** قال رسول الله ﷺ: «إذا ضرب أحدُكم خادمَه فذكرَ اللهَ فارفعوا أيديكم»,[1] يعني: لا تضربوهم.

أيها الإخوة الكرام: هذا هو التأديب بالعقوبة، هذه هي مبادئه وأهدافه وأنواعه. يقول الإمام الغزالي: (إذا أُهمِل الصبي في ابتداء نُشوئه خرج في الأغلب رديءَ الأخلاق, كذَّاباً حسوداً نمَّاماً طمَّاعاً, أُهمل لأنه الولد ذا فضول وضحك وإنما يُحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب).

والحمد لله رب العالمين

[1](?) أخرجه الترمذي: 1950، والبيهقي في الشعب: (6/376)، من حديث أبي سعيد d.